صورة مدينة الشلف وضواحيها
في الكتابات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر

أ. د. سميرة أنساعد
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.

الملخص:

إن المتتبع لحركة التأليف في الأدب الغربي خلال القرن التاسع عشر، وحول الرحلة إلى الجزائر شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، يجد عددا كبيرا من الرحلات والكتب، ولهذا سيسعى المقال إلى تقديم دراسة وصفية للرحلات الفرنسية، أو المترجمة إلى الفرنسية، والتي ألفت أو نشرت في القرن التاسع عشر، وكانت وجهة أصحابها الجزائر، ومدينة الشلف وضواحيها على الخصوص، كرحلة الدكتور الإنجليزي توماس شاو، ورحلة ألكسندر رادو ، ورحلة بول بورد، ورحلة أوغست باسيت في مدن الجزائر.

الكلمات المفتاحية: أدب- رحلة- الجزائر- الشلف- الصور- الكليشيهات.

تقديم:

يعد القرن التاسع عشر الميلادي من أزهى عصور الرحلات الأوربية نحو الشرق، فقد شهد إنجاز رحلات من قبل العديد من الأدباء، والعسكريين، وقادة الحكم، والعلماء المستكشفين في مجالات الأنثروبولوجيا، والآثار، والجغرافيا، والطب.. وغيرها من العلوم، وتكمن أهمية الكتب التي ألفها هؤلاء الرحالون من: رحلات، ومذكرات، ورسائل، ويوميات، وقصص، وقصائد، وأبحاث، وتقارير، في أنها تقدّم لنا تصور الغربيين، ورؤيتَهم للشرق العربي والإسلامي، في عادات شعبه، وحياته اليومية، ولغته، ودينه، كما تكشف عن الانطباعات السلبية والإيجابية التي أخذها الرحالون عن كل ذلك، والمشاعر المتباينة التي أحسوا بها بعد اتصالهم بالفضاء والإنسان الشرقيين، وتعكس في الأخير العقلية الغربية المتميزة بحب التملك، والغزو، والتعصب الديني أحيانا، وحب المعرفة والاستطلاع، والرغبة في إزالة المفاهيم الخاطئة لثقافة الآخر وديانته، وكذلك التسامح الديني من جهة أخرى.[1]

والمتتبع لحركة التأليف خلال الفترة المذكورة، حول الرحلة إلى الجزائر شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، يجد عددا كبيرا من الرحلات والكتب، التي يمكن تعيين البعض منها، كرحلة إدوارد دولت

ديميسنيل[2]، وتقرير بول صوليبي[3]، ورحلة لويس ريجيس إلى قسنطينة[4]، ورحلة المؤرخ والأركيولوجي أمبرواز تارديو إلى مدن الشرق والصحراء بالجزائر[5]، وسيتم التركيز على رحلات صورت مدينة الشلف وضواحيها تصويرا يتراوح بين الدقة والإيجاز كرحلة الدكتور شاو، ورحلة ألكسندر رادو، ورحلة بول بورد، ورحلة أوغست باسيت.

أقام الدكتور[6] شاو ببلاد الجزائر اثني عشر سنة، كان فيها كاهنا معيّنا من الكنيسة، لصالح وكالة تجارية إنجليزية، وقد أنجز شاو رحلات متعددة داخل القطر التونسي، والجزائري، وألف حول هذه الرحلات كتابا ضخما، وهاما، عُدّ أهم مرجع يعرّف الأوربيين بالمنطقتين في القرن الثامن عشر، أي زمن الحكم العثماني[7]، وقد تضمن الكتاب موضوعات مختلفة، جغرافية وتاريخية، وقدّم الكاتب في كتابه الكثير من المعلومات عن الأرض والسكان، النبات والحيوان، وكانت أول طبعة للمؤلف بالإنجليزية، صدرت عام 1738م، وترجم إلى الفرنسية عام 1743، وأعيد نشر الطبعة الفرنسية عام 1830م، ويحوي الكتاب عشرة فصول، اعتنت بوصف عمالة الجزائر تبوغرافيا (طبيعة الأرض، التربة والمناخ، الإنتاج النباتي، حيوانات البلد)، وانتقل إلى الجانب الثقافي للجزائر، فعرّف بعلوم البلاد وفنونها، وبعادات السكان وتقاليدهم، وأعمالهم اليومية، وألبستهم، ولهجاتهم.. كما قدّم عرضا للجانب السياسي، المتعلق بحكومة الجزائر، وداياتها، وآغاتها، وضباط الجيش فيها، وقوة هذا الأخير، ومكوناته، ومعسكراته، وطرق القتال لدى أفراده، أما في موضوع الرحلة والجغرافيا، فنجد الفصول المتبقية تجلي ذلك، بوصفها لعمالات الجزائر: معسكر، تلمسان، الجزائر، التيطري، قسنطينة، والزاب.

أما الكاتب ألكسندر رادو، فقد ألّف كتابا بالفرنسية، تضمن خمس وعشرين رسالة، وجهها إلى أصدقائه، وزملائه في الجيش الفرنسي، الذي عمل به مدة أربع وثلاثين سنة، وكذلك وجّه بعضا من رسائله إلى تلاميذه من خريجي المدرسة العسكرية التقنية، المختصين في الهندسة المعمارية، وقد دوّن هذه المراسلات بداية، زمن رحلته الواسعة في بلاد الجزائر، ثم أعاد كتابتها، وطبعها من جديد، دون تحديد الأسماء الدقيقة لأصدقائه، ويعود سبب اختيار رادو لهذا النوع من التأليف-الرسائل- عوض نوع الرحلة، إلى أنه لم يكن مطلعا اطلاعا جيدا على جنس الرحلة، كما أن الرسائل تجعله أكثر حرية في الكتابة، والمتصفح لكتابه يجد العديد من التفاصيل عن تنقلات الكاتب داخل مدن الجزائر من الشرق إلى الغرب، وكان انطلاقه من مرسيليا، للتوجه نحو الجزائر العاصمة، فبلاد القبائل، وعنابة، وقالمة، وقسنطينة، ثم بسكرة، وسطيف وبجاية، ودلس، ليزور مرة أخرى الجزائر، التي انطلق منها متجها نحو الجهة الغربية، فمرّ على البليدة، والمدية، وتيبازة، ومليانة، ووهران، ثم تلمسان، فسيدي بلعباس، ثم وهران مرة ثانية، ومن هذه المدينة عاد إلى بلاده بحرا، مارا على قرطاجنة، ليصل في الأخير إلى منطلقه مرسيليا. [8]

وتضمنت الرحلة الثالثة لكاتبها بول بورد مجموعة من الملاحظات، والذكريات، التي أخذها الكاتب عن رحلته مع النواب الفرنسيين من مرسيليا إلى الجزائر، كونه كان مراسلا صحفيا لجريدة المرشد العالمي (Moniteur universel) بفرنسا، وقد شارك في الجولة النيابية المكونة من ثلاثة أعضاء من مجلس الشيوخ، وواحدٍ وثلاثين نائبا، وثمانيةِ صحفيين، وخمسة كتاب، ولم تأخذ القافلة صفة رسمية، ولذلك استقبلها الشعب الجزائري بحفاوة، وكان الهدف المعلن عنه في بداية الرحلة متمثلا في حصر مشاكل السكان، ومحاولة الوصول إلى حلول ناجعة لتحقيق التنمية في الجزائر، لكن الهدف الحقيقي كان البحث في هوية السكان، واختبار مدى طواعيتهم للحكومة المحتلة، وكذلك تحطيم المجتمع العربي، وإحلال محله مجتمعا آخر، منصهرا في العقلية الأوربية، وقد بدا هذا الغرض في ثنايا الرحلة[9]، عندما اصطدم بالحقيقة الواقعة، وهي وجود فرق شديد بين الفرنسيين والجزائريين، واستحالة زوال الأندجينا، وبالتالي كان يرى وجوب مسخهم، وطمس هويتهم، حتى يسهل العيش معهم[10]، وكان مسار الرحلة واضحا انطلاقا من مرسيليا ونحو الجزائر العاصمة، ومنها توجه إلى عنابة وقسنطينة، وباتنة، ثم بسكرة، فبجاية، ثم الجزائر، وفي هذه المرحلة يتوقف مطولا ليخوض في مسائل سياسية خصت الحكم، والتنمية، ومسألة جعل الجزائر فرنسية، وبعدها جاء سرد أحداث السير نحو وهران، ثم تلمسان، وسيدي بلعباس، ومن هذه المرحلة كانت المغادرة إلى مرسيليا بعد الرجوع إلى وهران، والإبحار من مينائها. [11]

وآخر مصدر اعتنت به هذه الدراسة، كان لأوغست باسيت، وهو رجل عسكري، بدا حاقدا على الجزائر وأهلها، متحيزا للجهة الفرنسية، وجاءت الرحلة أيضا مثل الكثير من الرحلات التي أنجزت لأغراض التجسس، ومعرفة خصوصيات المجتمع الجزائري وأسراره، وكان التوغل داخل البلاد ليس بسبب الفضول، وإنما لأهداف عسكرية سياسية بحتة، وانحصرت رحلة باسيت في زيارة الجزائر، والمدية، والشلف، ووهران، ثم العودة منها على الشلف، فالجزائر، للوصول إلى قسنطينة، وبسكرة.

وقد تعرضت الرحلات المذكورة إلى وصف مدينة الشلف، وتعداد المدن والقرى المجاورة، ولم تتوقف عند ذلك الحدّ، بل قدّمت العديد من المعلومات الجغرافية حول المنطقة، كتحديد طبيعة المناخ، وتعيين خصائص الأرض والتربة، وذكر المنتجات الفلاحية، والتعريف بالوديان والأنهار، والعيون، كما عرفت ببعض الجوانب التاريخية، المراهنة للاحتلال الفرنسي، أو التي قد ترجع بنا إلى العهود القديمة، ولم يغفل الكتاب تقديم انطباعاتهم، وتسجيل مشاهداتهم المتعلقة بالسكان الأصليين للجزائر، محاولين تقديم صور واضحة لمواطنيهم الفرنسيين عن أصول الإنسان الجزائري، وديانته، وعاداته، وخصوصيات حياته.[12]

1. حصر المحطات الرومانية، والوصف الجغرافي والإثنوغرافي لحوض الشلف:

عدّد شاو في كتابه محطات ومدنا رومانية قديمة، وحدّد موقعها بتعيين اسم المدينة المعاصرة، أو ما يقرب منها من وديان، أو مدن أخرى، ومن هذه المدن القديمة ذكر آثارا، وخرائب سماها **"مجيدة"** (Mejeddah)، وكانت محطة رومانية، مبنية على مرتفع يجري أسفله نهر الشليف، وهي قريبة من قبر سيدي عابد، الواقع شرق وادي رهيو، وذكر كذلك آثار مينو وسيناب: (Menon)، و(Sinaab)، كانتا مدينتين متجاورتين، واقعتين على ضفاف الشليف، ولم يبق من المدينة الثانية، أي سيناب سوى بقايا جدران، وخزانات كبيرة، رغم كونها كانت المدينة المحصنة (oppidoneum)، ومركز للشليف، وللونشريس.[13]

ويشير شاو في موضع آخر إلى آثار رومانية أخرى لمدينة صغيرة بنيت على ضفاف الشليف، وكانت تسمى تمولقة Tmolga، نسبة للجبل الذي يعلوها، وفي مكان قريب من هذه المدينة، يقع جدول الروينة، ثم خرائب زديمي Ze-di-my، وهي لمدينة أخرى صغيرة بنيت على الضفة الشرقية لهذا الجدول.

ولأن الدكتور شاو كان سفره إلى الشلف وهو راجع من مستغانم، فقد حدد لنا موقع مصب نهر الشليف، في الجهة الشمالية الشرقية لقلميطة، وهو منبع مياهه عذبة، محاط بآثار وخرائب، لا تبعد كثيرا عن مدينة كارتنا الرومانية، ويرجح شاو كون هذه الآثار القديمة هي ما سمّاها الجغرافي بتولومي (Larcastellum) Ptolomee.

ويعرّف شاو بأصل تسمية النهر بالشليف، فيقول أن الاسم تحريف لكلمة شينالاف، في الجغرافيا القديمة، والنهر هو الأكثر أهمية في العمالة، تخرج مياهه من الصحراء، في ناحية الجنوب الشرقي للبلاد، وعدد منابعه سبعون عينا، تصب في أماكن، تجتمع تقريبا عند عنصر صغير يسمى نهر وصول.[14]

وعن منبع الشليف، وهو جبال الونشريس، فيفصل الحديث عنه في كتابه، إذ يذكر تهجيات مختلفة للاسم، فهو عند الجغرافي القديم سانسو Sanson (gueneseris)، وعند دوفال duval (ganser)، وعند بتولومي (zalacus)، يقع جنوب شرق مدينة سيناب القديمة، وهو يفوق علوا كل جبال البلد الأخرى، ويفيد المراكب المبحرة في معرفة اتجاهها الصحيح، وقد وصفه الإدريسي أكبر جغرافيي العرب، بأنه من أهم جبال البلاد، تكسو قممه الثلوج.[15]

ومن منبعه يسيل نهر الشلف شرقا عابرا اثني عشر مكانا، ويستقبل عنصر مي دروع، الواقع في الجنوب الشرقي، وفي المكان العاشر من السبعين عينا، ويتوجه بعد ذلك من الشمال إلى الجنوب، ويصل إلى المكان الموجود فيه قرية بن طيبة، وبعد قطع بحيرة التيطري، يلتف شرقا، راسما نهجا موازيا بالتقريب لشاطئ البحر، ليصب فيه بعد التوجه شمالا.

ويحتل وادي الفضة المرتبة الثانية بعد وادي الحربين، وينبع وادي الفضة من الونشريس، الذي يختزن بداخله مناجم للرصاص، وعند هطول الأمطار الغزيرة، يجحف وادي الفضة خلال جريانه

جزيئات من الرصاص، والتي منها ما يتوقف عند الأطراف، ويستقر بها، لتصبح هذه الجزيئات برّاقة تلمع تحت أشعة الشمس، وكأنها الفضة، وهو أصل التسمية.[16]

ومن موقع غرب جنوب غرب وادي الفضة، ومقابل قرية مازونة يستقبل وادي الشلف نهر أرهيو، ويجري هذا الوادي موازيا تقريبا لنهر مينة، ويشكل وادي أرهيو ذراعين: أحدهما يقع في الشرق، والذراع الآخر يسمى بوادي العبدت، يقع في الجنوب الغربي، وهذان الذراعان بعد سقيهما لحوالي ست مناطق من الأراضي الزراعية، يلتقيان بقرب قبر الجيلالي بن عمر، الذي كان رجلا صالحا، محترما لدى مواطنيه.[17]

وكذلك يستقبل وادي الشلف وادي الوريسة، والتاجية، والروينة، وبعض العناصر الصغيرة كابن سعيد، الذي ذكره الجغرافي العربي أبو الفداء، وقد أخبر هذا الأخير أن وادي الشلف مثل النيل يتزايد، وتغزر مياهه في فصل الصيف، لكن الدكتور شاو رأى عدم صحة قول أبي الفداء، وأشار إلى مسألة صعوبة اجتياز النهر شتاء، لأن مشروع بناء الجسر العابر للنهر لمّا يكن قد وضع عهد الرحلة، وهو ما يوحي بموضوعية الكاتب في هذا التعليق، وبحرصه في كثير من المواضع على دقة المعلومات؛ فقوله يؤكده الواقع اليوم.[18]

وينتقل شاو من الحديث عن وادي الشلف وعناصره إلى التعريف بمدينة تنس القديمة، وقد أخبر شاو بأن المدينة تقع فوق مكان كدر رطب، وتقع في الشرق الشمالي لزور الحمام، وعلى مسافة قليلة من البحر، وقد كانت قبل غزوة[19] بربروس عاصمة إحدى الدويلات الصغيرة في البلاد، ولكن ما بقي الآن- في عهد الرحلة، أي أواسط القرن الثامن عشر الميلادي- سوى مجرد عدد قليل من المنازل البسيطة، وعنصر ماء صغير، قرب المدينة، يصب في البحر راسما عدة تعرجات.

وتقابل تنس مباشرة في البحر جزيرة صغيرة، لم يعرّف شاو باسمها، وهي واقعة قرب القارة – الإفريقية- أما عن الجانب الاقتصادي، فقد اشتهرت تنس، ومنذ وقت طويل بكميات القمح الكبيرة، التي كانت تصدّر إلى أوربا، لكن مرساها مكشوف ومعرّض للرياح الغربية والشمالية، ولذلك كانت السفن كثيرا ما تغرق فيه.

ويقدّم شاو تعليقا غريبا، ربما جعله يحيد عن المنهج العلمي الدقيق، ليروي لنا خبرا عن أهل تنس، اعتمادا على رواية السكان الأصليين للمدينة، وهو أنهم في عهود قديمة اشتهروا بكونهم من كبار السحرة، حتى إن فرعون أرسل رجالا للبحث عن أكثرهم مهارة؛ لإبطال معجزات موسى عليه السلام، وعقب شاو هنا حول المسألة، مصدرا حكما سلبيا، يعبّر عن الانطباعات والأحكام الخاصة، التي عادة ما قدّمت لمواطني الكتاب الأوربيين صورا بشعة، وحشية، وغريبة عن سكان إفريقيا، وهي التي كان سببها التعصب الديني المسيحي، وروح التعالي، والإحساس بالعظمة، حيث قال: **"إنه مما لا شك فيه، وتبعا مما عرف سابقا، يعدّ سكان تنس الحاليون من أكبر المحتالين في الجزائر."[20]**

أما عن تاريخ مدينة تنس، وعن بنائها، فيخبر شاو أن بعض الجغرافيين رأوا أن تنس، هي المدينة الرومانية القديمة Julia-caesarea، لكن حسب شاو، فإن معالم المدينة لا توحي بوجود أي أثر للميناء الجميل لمدينة القيصر، ولا آثار الحصن المنيع، وخزاناته العميقة، التي نجدها غالبا في المحطات الرومانية، ولذلك يغلّب شاو رأيا آخر، وهو جوليا القيصرية هي شرشال، أما تنس فهي مدينة كاركوم Carcome، التي وصفها الجغرافي القديم بتولومي Ptolomee، وعيّن موقعها بين كارتنا Cartena وكاروبولا Carupula.[21]

وعلى مسافة قصيرة من تنس، يرتفع فوق البحر جبل عال سمّاه الجغرافيون الأوربيون المعاصرون بـCap-Tniss، ويسمي المحليون هذا الرأس الجبلي الناقوس، نسبة إلى صخرة تقع بشق الجبل، تشكل خليجا يشبه الناقوس (الجرس)، وهو من الخلجان الأكثر روعة في البلاد، وعند رؤيته من البحر يبدو –كما شبهه البحارون- كرأس خنزير برّي مذبوح (Hure d’un sanglier)، واعتمادا على بتولومي، وعلى المعطيات الخاصة بالمسافة التي تفصل بين هذا الخليج وبين مدينة أرسيناريا Arsénaria، فإن الناقوس هو الخليج الروماني القديم المدعو: Apollinis.[22]

وبعيدا قليلا عن هذا الرأس الجبلي، نجد بني حياضجة، ثم قبيلة بني حوا، وهما قبيلتان معتبرتان، وقد كانت السفن تفضل الاقتراب من شواطئ هاتين القبيلتين، وكانت تجد الأمان فيها وخاصة في

جزيرة بني حوا، وهي أكبر من جزيرة الحمام، وعلى بعد منطقتين، نجد خليجا صغيرا، وعدة خرائب، قد تكون تلك التابعة -حسب القدماء- لمدينة Castra-germanorum، التي يسميها السكان الأصليون بالدحموس، بمعنى الظلام الحالك، أو المغارة، وقد يكون هذا الاسم ناتج عن تلك الخزانات المدفونة تحت هذه الخرائب.[23]

كذلك تناول شاو بالوصف مرجيجة، وبني راشد، وقرية الحربة، فأخبر بأن الأولى قرية مبنية بالطوب، وتسكنها قبيلة خاضعة للأتراك، وهي في مكان مرتفع يبعد قليلا عن سيناب، أما بني راشد، أو بني أراكس (Béni- Arax)، كما يسميها الجغرافيون المعاصرون، غير بعيدة عن وادي الفضة، وقد كانت بني راشد ذات أهمية، باحتوائها على حصن، وألفي منزل، وكان سكانها مقاتلين محترفين، فرضوا سيطرتهم على المنطقة، الممتدة إلى غاية القلعة، ومعسكر، لكن الحال تغير، ففي زمن رحلة شاو، أي في القرن الثامن عشر، تدمّر الحصن، ولم يبق منه سوى خرائب، كما لم يجد فيها إلا قليلا من أكواخ القش، وتحوّل سكانها إلى جبناء بعدما أثبتوا قديما شجاعتهم وإقدامهم، وعلّل شاو هذه الظاهرة بتعرّض سكان بني راشد للظلم، والاضطهاد من قبل الأتراك، وإن كان لهذا الحكم شيء من الحقيقة، فإن الأوربيين استغلوا هذه المسألة، لتوسيع الهوة بين السكان والحاكم، لفرض سيطرتهم، وإضعاف السلطة العثمانية، التي باتت تهدد مصالحهم في العالم، وللتبشير بحضارتهم، وديانتهم مقابل ذلك، لكن شاو لم ينس الإشارة إلى جودة التين وفواكه أخرى ببني راشد تنافس في الحجم، والذوق فاكهة بني زروالي[24]، وفي مكان منخفض عن بني رشيد نجد القرية الرومانية القديمة المسماة بالحربة، هي على ضفة نهر الشليف، شرق –جنوب بني رشيد، تزينها شمالا أرض منبسطة ضيقة، لكنها خصبة، وقد لاحظ شاو وجود كثير من الأعمدة الصغيرة من الرخام الأزرق، تبدو من نوعية جيدة، غير أن تيجان هذه الأعمدة من الشكل الكورنثي عانت كثيرا بسبب عوامل الزمن والمناخ، واليد البشرية، وكما لاحظ عدة قبور رومانية قديمة.[25]

أما عن المدن الشرقية القريبة من الشلف، فمنها مليانة، التي كعادته في هذا الكتاب يعدد تهجيات مختلفة للاسم، فيقول: مَنيانة، أو مَليانة، أو مِليانة، تقع شرق- شمال- شرق قرية الحربة، وكانت زمن الرحلة قرية صغيرة، منازلها مغطاة بالقرميد، وتمتاز بوفرة المياه التي تأتيها من جبل زكار، مما جعل محيطها مخضرا بالبساتين، وحقول العنب، وهي تطل على منطقة جندل، التي كانت تسكنها قبيلة مطماطة، وقبائل عربية أخرى، وفي الربيع، تعوّد المتشيعون للولي الصالح أحمد بن يوسف ممن يسكنون المناطق المجاورة لمليانة، كالمدية والبليدة والجزائر زيارة مثوى الولي، وتقبيل قبره.[26]

وفي موضع آخر يحدّد شاو القبائل التي سكنت منطقة الشلف، ومنها الواقعة شمال نهر الشليف، بين أرهيو ومليانة، فذكر أنهم من البربر شديدي المقاومة للأتراك، وبالتالي لم يخضعوا لسلطتهم، لتحصنهم بالجبال، باستثناء تنس وشرشال، اللتين يسهل مهاجمتهما بحرا، وكذلك منطقة بني مادوني، وأولاد فارس، وبني راشد، وسكان مرججة الذين يخيمون بجوار أولاد السبايهي(Spaihi)، والأقصير(Uxéire)، والعطاف (Lattaff) كلهم كانوا يتعرضون كل صيف للنهب والسرقة على أيدي العساكر الأتراك، ولذلك فالقبائل الأخيرة كانت خاضعة للسلطة التركية، وبقيت قبائل أخرى مستقلة، كالشرفة، الساكنة شرق أولاد بوفريد، شمال مازونة، وكذلك قبيلة أولاد مافة، وغرية المتحصنتين بجبال مرججة وبني راشد، وبني يفرة وبني مناصر، الساكنين بالمنطقة الجبلية الواقعة بين مليانة وشرشال، وبني حلوان القريبين من حمام ريغة، ووادي جر.[27]

2. الكلف بالطبيعة المليانية، والمناظر الجبلية:

وكانت التفاصيل التي قدّمها الكاتب رادو عن رحلته إلى مدن الجزائر سنة 1878م، وعن مشاهداته بمنطقة الشلف وما جاورها موجزة، ويدل على ذلك عنوان الرحلة **"نظرة خاطفة على الجزائر"**، أو رسائل من عصفور عابر، كما أن رغبته الجامحة في الرجوع إلى فرنسا، وشوقه إلى أهله، وأصدقائه، ووطنه، جعلاه غير متحمس للنزول، أو البقاء بالمدن الغربية الواقعة قبل تلمسان، وهو المشروع الذي قصده منذ بداية الرحلة، ورغم ذلك فإنه توقف، وأقام ليلتين بمليانة، وهي التي ركّز على التعريف بها.

أخبر رادو عن خصائص المناخ المليانى، فذكر بأن المدينة بديعة حقا، تتمتع بطقس جميل في فصل الصيف، وحرارة معتدلة، محتملة في النهار، وباردة في الليل، وهذا بسبب الموقع المرتفع الذي تحتله؛ إذ يقدّر ارتفاعها بـ1100م عن سطح البحر، كما أنها تزخر بمياه صافية معدنية، تنبع من جبال زكار، تشكل شلالات رائعة، وإضافة إلى ذلك، تتزين المنطقة ببساتين، وأراضي خصبة، وقد استمتع رادو بجولاته مع عدد من أصدقائه المغتربين من العسكريين والمقيمين بمليانة، ونعم بسهرتين معهم رفقة عائلاتهم، استنشق خلالها الهواء العليل، وتابع منظر السماء الأزرق الصافي والجميل، غير المعهود في بلده، وهو الأمر الذي جعل حنينه إلى الوطن يقل حدة، خاصة أنهم استقبلوه، ورحبوا به ترحيبا كبيرا[28]، وكانت أهم مشاهدات الرحالة في المدينة: المنعرجات الكثيرة المؤدية إلى شارع عريض وجميل، يوصل إلى مدخل رئيسي، ذي باب ضخم، متصل بحصن قديم، وعند الولوج إلى المدينة يشاهد الداخل طريقا واسعة على جانبيها أشجار تزيينية من صنف الصنار، تؤدي إلى ساحة كبيرة بقربها مسجد قديم، ومنارة تحمل ساعة المدينة الضخمة، وفي أسفلها أرض مخضرة تعطي منظرا خلابا.[29]

ويقارن الرحالة بين مليانة، والمدينة القريبة منها، وهي الخميس المسماة آنذاك بأفروفيل Affreville، حيث وجد حرارتها لا تطاق، والمنظر الصيفي فيها غير مريح، لذلك لم يقم بها، واعتبرها مكان عبور، بالسكة الحديدية، التي تربط بين هذه المدينة، ومدينة الشلف، ثم وهران[30]، لكن يرجع في رسالة أخرى ليقدّم تفاصيل إضافية عن أفروفيل، فأفاد بأن المدينة كانت في طريق جاد للتنمية، إذ أصبحت نقطة تجمّع حركات التجارة التي تجري بين الجزائر وأعالي الشلف، وبوغار، وجبال عمور، وقد حلّت أفروفيل مكان مليانة، التي لم تصبح سوى مكان استجمام، وحي للعسكريين، وتراجعت الحياة بهذه المدينة القديمة، لتتمركز في المدينة الجديدة، قرب محطة القطار، ورأى رادو في آخر تعليقه أن أفروفيل تبدو مهمة للرحالة التاجر، بينما لن تثير انتباه العالم، أو الأركيولوجي، أو الفنان، أو حتى العسكري السابق.[31]

وفي مدينة الشلف أخبر الرحالة أنه تذكر أحداثا محزنة جرت له، منذ عشر سنوات، وهي الذكرى التي راهنت وجوده بالشلف، وهذا ما جعله يأخذ نظرة مزعجة، غاضبة عن المنطقة، وهو دليل على أن المعلومات التي يقدمها كُتاب الرحلات كثيرا ما تحيد عن الموضوعية، لتتحكم فيها أهواءُ هؤلاء الكتاب، ومشاعرُهم، وأفكارُهم، وإيديولوجياتُهم.

ويؤكد رادو على ظاهرة ارتفاع الحرارة في الصيف عند وصوله مدينة الشلف المسماة Orleansville، وهي الحرارة التي وصلت درجة الأربعين، وقد خال هذه الحرارة أشد من حرارة مدينة بسكرة الجنوبية، تجلب الأمراض الخطيرة، والقاتلة، كما شاهد مظاهر الكآبة والسأم يعمان أجواء المدينة، وقد يحيل ذلك إلى ما كان يعيشه السكان الأصليون من ضياع، وفراغ، وغربة روحية من جهة، وما كان يحس به المعمرون من ملل، وحنين إلى الوطن والأهل من جهة أخرى، ورغم ذلك، فلم يعدم الرحالة ملاحظة خصوبة أراضي المدينة، والمناطق المحاذية لوادي الشلف، لعذوبة مياهه، وبسبب توفر السدود في المنطقة، كما لاحظ رادو رغم عدم نزوله من القطار إلى الشلف، وجود منطقة عمرانية حديثة، وظهور الرخاء والرفاهية على بعض سكانها، كما أن المدينة تحتوي على خرائب وبقايا محطة رومانية، وآثار الغزاة العرب-حسب تعبير الكاتب- وكذلك تتمتع بثروات فلاحية هامة.[32]

ويجمل رادو وصفه لمدينة الشلف، مقدّما انتقادا خاصا عن موقع معسكرها الجديد في قوله:
"هذه المدينة الحديثة، الجديدة في بنائها، قابعة وسط بسيطة محروقة [في فصل الصيف] **وكأنها معسكر للمراقبة، لا نجد فيها خضرة، إلا قليلا، مع تلك الشجيرات الصغيرة المغروسة حديثا في جنوب المعسكر، الذي تمر في وسطه سكة الحديد، لكن هذا الموقع خطر للغاية، فقد تسبب حركة غير نبهة، أو إرادة سيئة في إضرام حرائق تحيل هذا المعسكر إلى رماد في ساعات قليلة."**[33]

ولم يغفل رادو تعداد المدن المحاذية لوادي الشلف، كواد سلي، وواد مرجة، وواد رهيو، وهي مدن يسكنها العديد من السكان الأصليين والمعمرين، وفي أعالي واد رهيو، جهة الشمال، تظهر بوضوح، وتحت إضاءة خلابة من الشمس جبال الظهرة، وهي التي ذكرته بالصعوبة التي لقيها الجيش الفرنسي في سبيل إخضاع القبائل المتمردة التي تسكنها، التي توحدت مع قبائل الونشريس في الجنوب، لتكون

سببا في العديد من المشاكل، بقطع الطريق في سهل الشلف، وهنا يسترجع رادو حادثة نعتها بالبربرية والبشاعة، قام بها أحد جنرالات فرنسا ضد إحدى قبائل المنطقة، وهم من أولاد رياح؛ حيث قتلوا حرقا في إحدى المغارات، ولكن الرحالة بعد ذلك يقدّم بعض العذر للجنرال بليسي pelissier، الذي جُنّد مع عدد قليل من الرجال، في بلد مقاوم، ففي محاولته إخضاع قبيلة أولاد رياح، اضطرت القبيلة إلى الاختباء في إحدى المغارات، وهنا أعطى الجنرال الأمان لأفراد القبيلة، لكن تعصبهم، أو تشددهم هو ما جعلهم يرفضون الاستسلام، ونظرا لضيق الوقت لم تستطع الفرقة الانتظار طويلا، فقرر الجنرال إبرام النار في المغارة حتى يضطر العرب للخروج، لكنهم فضلوا الموت على الخروج، ورغم محاولات الفرنسيين إخماد النيران في البداية، لكن إطلاق النار الكثيف من قبل رجال القبيلة حال دون ذلك، ولشدة المقاومة عند سكان هذه المنطقة، فقد ظلت متوحشة، ومدينتها الصغيرة خالية من أي ساكن أوربي.[34]

وفي الأخير عدّد رادو مراحل السفر إلى وهران على متن القطار، فذكر مرور السكة على وادي المالح، واتجاه القطار جنوبا للمرور على وادي مينة بغليزان، هذه الأخيرة كانت مركزا سكنيا فلاحيا هاما، لخصوبة الأراضي فيها.[35]

3. مسائل في التنمية، وإنجازات فرنسا في المنطقة:

أما بول بورد، فقد انطلق في رحلته التي تعود إلى سنة 1879م من مدينة الجزائر، بعد زيارته لمدن الشرق متجها نحو الغرب، وكانت آخر منطقة يمرّ عليها للوصول إلى الشلف بومدفع، التي شبهها بقسنطينة، لوجود منحدرات مكشوفة وأنفاق بالمدينتين، وقد اجتاز بورد ثلاثة أنفاق تخترق مرتفعات تلك المنطقة، للوصول إلى آخر منفذ مؤدي إلى حوض الشلف.[36]

وكانت أولى زيارات بورد داخل حوض الشلف، مدينة مليانة المرتفعة عن أفرو فيل، والواقعة بمنحدرِ جانبَ جبل زكار، ولكي يصل إليها المرء يمر على مرتفع يقدر بست مائة متر، ويأخذ المسار المؤدي إليها كما وجده الرحالة شكل قبعة عسكري، والمدينة تشبه البليدة، لأنها واقعة وسط روضة كبيرة، غير أنها تفتقد للزراعة الكبيرة، وبالتالي لا نجد فيها سوى حدائق، وبساتين ذات أشجار مثمرة، تنتج العنب، والسفرجل، والكرز، والجوز، والبندق، والكستنة(البلوط)، والتفاح، والإجاص، وأكثر الفواكه نجاحا في المدينة كان الرمان، أما الطقس في مليانة، فوجده بورد شبيها بما هو عليه في فرنسا، بسبب موقعها العالي، وغزارة الثلوج بها شتاء.[37]

ويقدّم بورد بعد هذا الوصف انتقادات حول حال المدينة، ويعطي رأيا خاصا، مغتنما فرصة عمله بالصحافة، وقيامه بهذه الجولة النيابية، ومحاولا حصر انشغالات السكان، والمعمرين على الخصوص، والسعي نحو تحسين ظروف المعيشة لديهم، فذكر بورد أن حال المدينة يؤول إلى التدهور والانحطاط؛ حيث تمرّ السكة الحديدية بعيدة عنها، ولو أن المسؤولين سعوا إلى إنشاء خط جديد، يتجه نحوها، لكانت الحال أحسن، لكن الواقع غير ذلك، وكل أنواع التجارة والصناعة تنزل إلى أفروفيل، إضافة إلى ذلك، فإن كانت سابقا ثلاث عائلات مكلفة بالوصل بين مليانة ومحطة القطار، فإنه اليوم-زمن الرحلة- لا يوجد سوى عربة واحدة تقوم بهذه المهمة، ولا تنجز صفقات جيدة، وحتى المياه المتدفقة على كل جانب من منحدرات الجبل، وهي التي تدير أربع عشرة طاحونة واقعة بين مليانة وأفروفيل، لا تحمي هذه المدينة من الإهمال، والتأخر، فقد أصبح الناس يطحنون بعيدا عن مليانة، وكذلك الزراعة في مليانة فإنها لا تمثل مصدر ربح؛ إذ لا تملك أراضي واسعة، وليس لها سوى القليل المستغل لزراعة الأشجار المثمرة، وزراعة البقول في السباخ، ولم يبق في مليانة إلا موقعها الجذاب: **"الذي تصعب مفارقته، بعد التعود عليه."**[38]

وفي زمن الرحلة الخريفي لم يجد بورد المناظر مشجعة أو جميلة من أفروفيل إلى وهران، إذ لم يتغير المنظر طوال الرحلة، فالأرض محترقة، ومغبرة، وهي تقريبا مهملة، عدا بعض أشجار النخيل الصغيرة، وشجيرات الزيتون البرية، وفي البعيد يجد الناظر جبالا عارية جرداء، ذات لون ورديّ قاتم، هذا هو المنظر المؤسف، الذي شاهده الرحالة مسافة مائتين كيلومترا، وهذه البسيطة الواسعة صيفها حار وشتاؤها شديد البرودة، وفي: **"أواسط شهر أكتوبر ما تزال الحرارة مرتفعة."**[39]

وقد أثارت إحدى الظواهر التي لاحظها بورد، عند مروره على مدينة دوبيري (عين الدفلى) استغرابه ودهشته، وهي جفاف أكبر وديان الجزائر وهو الشليف، في حين وجد قبل وصوله إلى هذه الجهة بعض الوديان شرقا بها مياه وافرة، كوادي سيبوس، وواد سيباو sebaou[40]، وركّز بورد في المقابل على خصوبة الأراضي بالشلف، مما يؤهلها إلى أن تصبح منطقة مزدهرة بزراعة القمح، إذا ما أخذت المشاريع بجدية أكثر، وأتمت مشاريع كثيرة منها: الاعتناء بمسألة استصلاح الأراضي، التي رغم أنها مكلفة جدا، لكن حصولها سيحقق أرباحا طائلة للمستثمرين، وإنهاء بناء السد، وإنجاز سكة حديدية رابطة بين الشلف وتنس، وإعادة ترميم وتهيئة ميناء تنس، وهي المشاريع التي تأخرت في الإنجاز، أو الإكمال، لقلة الموارد المالية، وإيقاف الحكومة المساعدات، ورهن اكتمال المشاريع بمساهمات المعمرين المنتظمين تحت لواء اتحاد عمالي خاص بهم، وقد رأى بورد أن تحقق هذه المشاريع ونجاحها متعلّق بإنشاء محافظة الشليف، ومدينة أورليون فيل مركزها.

4. الكليشيهات، والرؤية الاستعمارية المتعالية:

أما الرحالة أوغست باسيت، فكانت له ملاحظات وجيزة سجلها عند مروره بمدن الوسط، كمليانة، ذات المنظر الخلاب الذي يُرى من أسفل، وهي كما سمّاها باسيت "البيضاء" la blanche Millianah وهي تتدرّج على منحدر زكار، وتقع وسط نباتات وافرة، ولا يذكر الكاتب زيارته للمدينة في حين يشير إلى فترة توقف كانت بأفروفيل نعم فيها بشربة نبيذ من جبل زكار ذكرته بالنبيذ البلدي لمدينة شالوناز الفرنسية.[41]

ووصف باسيت المنظر الثاني الذي يلي منظر مدينة مليانة، وهي بسيطة الشليف، التي يحدّها من الجنوب الشرقي سلسلة جبال الونشريس l'Ouarensenis، وهنا تتكرر الملاحظة من أن سكان جبال الونشريس، من المقاومين بشدة للوجود الفرنسي بالبلاد، وهم من الأعداء الخطرين لهم؛ إذ قال أن اعترافهم بسلطة فرنسا استغرق وقتا طويلا، بفضل من دعوا بفرقة الفليتة، الذين عملوا على إضعاف مقاومة الجزائريين في المنطقة.[42]

وكان لباسيت مرور سريع على مدينة العطاف (les Attafs)، شاهد فيها سوقا قريبة من محطة القطار، يتجمهر فيه حوالي ألفين من الجزائريين، الذين بدوا للرحالة أناسا غرباء في تصرفاتهم، يكثرون الصراخ، والصياح، والحركة والإشارة خلال تعاملاتهم، ولعل هذا حكم ذاتي نابع عن جهل هذا الفرنسي للّغة، ولعادات الجزائريين في البيع والشراء بالأسواق الشعبية، كما أن هذه النظرة تعكس روح التعالي، والإحساس بالتفوق لدى بعض الرحالين، وخصوصا العسكريين منهم على السكان الأصليين، يرون السكان الأصليين للجزائر، وهم الأندجينا نظرة سلبية، تنسب إليهم العادات السوقية، والتصرفات الهمجية، في حين يمتاز الفرنسيون بالهدوء، والنظام، والتحضر.[43]

وذكر الرحالة باسيت بعد العطاف وادي الفضة، وهنا لاحظ اقتراب السكة أكثر فأكثر إلى جبال الونشريس، وشاهد عن بعيد غابات ثنية الحد، أين تنبت أشجار السدر، التي ترجع زراعة عدد منها إلى عشرة قرون وأربع مائة سنة، ومن هذا المكان سار القطار في اتجاه أورليون فيل، وبعد وقوف قصير، استمر القطار في السير، تحت شمس محرقة، نحو غليزان، وهي نقطة التقاء الخط مع خط تيارت، وهنا تتوقف مجموعة كبيرة من عربات الحلفاء، وفي محطة القطار نفسها شاهد الرحالة قافلة في استراحة، يصل عدد جمالها الخمس مائة، يصدر عن هذه الجمال من وقت إلى آخر صيحات غامضة، قد تعبر عن الشقاء، أو الألم، وهي اللغة الوحيدة لهذه الحيوانات الخادمة المتواضعة، وهذا التعليق يذكّر بالصورة المشوهة المتعارف عليها لدى الأوربيين عن العرب والمسلمين، من أنهم يتصفون بالقسوة على الحيوانات، إضافة إلى الصور الأخرى، كالسذاجة، والغباء، والتملق المفرط، والخداع، والكذب،..[44]

وشاهد الرحالة باسيت وهو في طريقه إلى غليزان كذلك أراضي منبسطة خصبة، وممتدة، تنتشر فيها قباب كثيرة لأولياء صالحين، مظللة بأشجار زيتون قديمة، ومباني، وبيوتا قصديرية، وجدها باسيت بدائية، وغير متقنة، ترتفع عن الأرض بحوالي مترين لا أكثر، وكثير منها لم تصله عيوننا لتغطية أشجار المصطكا، والخروب لها.[45]

وكانت لباسيت فرصة زيارة الشلف مرة أخرى بعد عودته من وهران، وفي هذه المرة، نزل من القطار، ليقيم بالمدينة أياما، تلبية لدعوة أحد النقباء العسكريين، الذي تفنن في ضيافته مع مرافقه في إقامة المدفعية، وكان الجلوس في قاعة أكل فسيحة، مطلة على حديقة شاهد فيها باسيت غزالتين كانتا تلتقطان الطعام من أيدي الجالسين المعهودين، بينما لم تجرؤا على الاقتراب من الرحالة ورفيقه.

واستطاع باسيت التجول في المدينة، ورأى أنها جميلة محاطة بمزروعات وأشجار، اجتهدت أيدي العسكرية الفرنسية في إنجازها، وهو ما جعل المدينة محمية من رياح الصحراء الساخنة، وما يزيد جمال المدينة تلك الآثار الرومانية المنبثة هنا وهناك، وتلك الفسيفساء المقامة كنصب تذكاري بكنيسة، تقديرا للقديس ريبارتوس (Reparatus)، وأضاف باسيت إلى هذه المعالم المستشفى الكبير، ولسوء الأحوال الجوية، وهطول أمطار غزيرة ليلة وصول باسيت إلى الشلف، تعذّر عليه القيام بجولة في الونشريس، وزيارة قبيلة الفليتة، التي كان لها الدور البارز في إضعاف مقاومة القبائل الساكنة هناك، فكانت المغادرة سريعة نحو المدية، خشية انقطاع الطريق بين الشلف والمدينة المذكورة.[46]

ونخلص في الأخير، إلى أن صورة مدينة الشلف وضواحيها في كتابات الرحالين الأربعة المذكورين قد تعددت، واتسمت أكثرها بالطابع الإخباري والتسجيلي، المعرّف بجوانب جغرافية وتاريخية، خصت المكان والإنسان، قد تظهر للمعاصرين غير ذات بال، لكنها في زمانها، وبالنسبة لمواطني الكتاب من الفرنسيين خاصة، والأوربيين عامة، كثيرة الأهمية، مفيدة للذين كانوا يحملون مشاريع الإقامة بالجزائر مستقبلا، أو للذين كانوا يفكرون في إنجاز رحلات نحو الجزائر، لكن هذه الصورة لم تخل في مواضع خاصة من الذاتية، لتنتسب بعد ذلك إلى حقل الخيال، ولتحمل انطباعات غير بريئة، وأحكاما خاطئة عن البلد وأهله.

قائمة ببليوغرافية للبحث:

المصادر باللغة الأجنبية:

1. Besset, Auguste: *A travers l'Algérie d'aujourd'hui*, notes et croquis, Chagny, Imprimerie Roy Frères, 1896.
2. Bourde, Paul: *A travers l'Algérie*, Paris, G. Charpentier Editeur, 1880.
3. D'Ault-Dumesnil Edouard: *l'Expédition d'Afrique en 1830*, Paris, Delaunay éditeur, 1832.
4. Ratheau, Alexandre: *l'Algérie Vue a Titre d'Ailes*, ou Lettres d'un oiseau de passage, Alger, librairie algérienne et coloniale, 1879.
5. Régis, Louis: *Voyages et Séjours*, Paris, Galmann Lévy Editeur, 1880.
6. Shaw, Thomas: *La Régence D'Alger ou Description: géographie, physique, philologique, etc.*, Traduit par M J. Mac Carthy, Pais, Marlin Editeur, 1830.
7. Solleillet, Paul: *Voyage d'Alger a l'Oasis d'In Salah, Typographie et Lithographie*, Alger, A. Jourdan, 1875.
8. Tardieu, Ambroise: *De Paris au Sahara, Itinéraire Descriptif et archéologique aux villes romaines de Lambèse et de Timgad..*, Batna, Imprimerie F. soldati, 1890.

المراجع بالعربية والفرنسية:

1. إدوارد، سعيد: الاستشراق، تر. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981.
2. جوردا، بيير: الرحلة إلى الشرق، رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر، تر. مي عبد الكريم وعلي بدر، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط. 1، 2000.

3. Joelle, Redouane: *l'Orient arabe vue par les voyageurs anglais*, Alger, OPU, 1988.

---

[1] Joelle Redouane, *l'Orient arabe vue par les voyageurs anglais*, Alger, OPU, 1988.

[2] d'Ault -Dumesnil, Edouard, *l'Expédition d'Afrique en 1830*, Paris, Delaunay éditeur, 1832.

[3] Solleillet, Paul, *Voyage d'Alger a l'Oasis d'In Salah, Typographie et Lithographie*, Alger, A. Jourdan, 1875.

[4] Régis, Louis, *Voyages et Séjours*, Paris, Galmann Lévy Editeur, 1880.

[5] Ambroise, Tardieu, *De Paris au Sahara, Itinéraire Descriptif et archéologique aux villes romaines de Lambèse et de Timgad..*, Batna, Imprimerie F. soldati, 1890.

[6] يطلق عليه دكتور، ليس لممارسته مهنة الطب، وإنما كان لقبا يطلق في إنجلترا على أعضاء رجال الدين، وكهنة المدينة، وعلى المحامين الذين أخذوا هذا المنصب في الجامعة، وكان شاو كاهنا، ينظر: ملاحظة المترجم، ص. 5.

[7] Shaw, Thomas, *La Régence D'Alger ou Description: géographie, physique, philologique, etc.*, Traduit par M J. Mac Carthy, Paris, Marlin Editeur, 1830.

[8] Ratheau, Alexandre, *l'Algérie Vue a Titre d'Ailes, ou Lettres d'un oiseau de passage*, Alger, librairie algérienne et coloniale, 1879.

[9] Bourde, P., *A travers l'Algérie*, pp. 229- 265.

[10] كان بورد منضما إلى جول فيري (Jules Ferry) وإميل ماسكري (Emile Masqueray)، وعضو مجلس الشيوخ كلماجيران (Clamageran)، وآخرين من الذين تبنوا سياسة التعليم اللائكي، ومن الذين اعتمدوا التعليم في بلاد القبائل بالخصوص، وسيلة لإنجاح سياسة الإدماج.

[11] Bourde, Paul, *A travers l'Algérie*, Paris, G. Charpentier Editeur, 1880.

[12] Besset, Auguste, *A travers l'Algérie d'aujourd'hui*, notes et croquis, Chagny, Imprimerie Roy Frères, 1896.

[13] Shaw, T., *La Régence D'Alger ou Description: géographie, physique, philologique, etc.*, Traduit par M J. Mac Carthy, pp.256- 257.

[14] Shaw, T., ibid, pp. 238- 239.

[15] Shaw, T., ibid. p. 257.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور شاو، لم يعتمد في رواياته، وأخباره الجغرافية والتاريخية على المؤرخين والجغرافيين الغربيين القدماء والمعاصرين ، كبتولومي، وسانسو، وإنما اعتمد كذلك على الإدريسي، و أبي الفداء، وليون الإفريقي.

[16] Shaw, T. , ibid. p. 239.

[17] Shaw, T., ibid. p. 240.

[18] Shaw, T., ibid. p. 240, 260.

[19] يعد الأوربيون تدخل العثمانيين لإنقاذ الجزائريين من الاحتلال الإسباني، والبرتغالي غزوا، مثلما يسمون فتوحات المسلمين لإفريقيا الشمالية غزوا واحتلالا.

[20] Shaw, T., ibid, p. 264.

[21] Shaw, T., ibid, p. 265.

[22] Shaw, T., ibid, p. 265.

[23] Shaw, T., ibid, pp. 265- 266.

[24] Shaw ,T., ibid, pp. 280- 281.

[25] Shaw, T., ibid, p. 281.

[26] Shaw, T., ibid, pp. 282- 283.

[27] Shaw, T., ibid, pp. 279- 280.

[28] Ratheau, A., *L'Algerie vue a titre d'ailes*, pp. 267-270.

[29] Ratheau, A., ibid, p. 247.

[30] Ratheau, A., ibid, p. 270.

[31] Ratheau, A., ibid, p. 263.

[32] Ratheau, A., ibid, p. 272.

[33] Ratheau, A., ibid, p. 272.

[34] Ratheau, A., ibid, pp. 273- 274.

[35] Ratheau, A., ibid, p. 274.

[36] Bourde, P., *A travers l'Algérie*, p. 330.

[37] Bourde, P., Ibid, p. 330.

[38] Bourde, P., Ibid, p.330- 331.

[39] Bourde, P., Ibid, p. 332.

[40] يقع وادي سيبوس في الشمال الشرقي للجزائر، وهو محاذي للحدود التونسية، وواد سيباو في القبائل الكبرى في ناحية يسر بتيزي وزو.

[41] Besset, A., *A travers l'Algérie d'aujourd'hui*, p. 85.

[42] Besset, A., Ibid, p. 85.

[43] عبّر الرحالون الفرنسيون الرومانسيون في كثير من الحالات عن نظرة حالمة تجاه الشرق وأهله، وأثبتوا مقابل ذلك زيف التقاليد والعادات الأرستقراطية الأوربية، وبشاعة التمدن والتحضر، والتطور الصناعي، الذي أدى إلى الكلف بالمادة، والجمال الاصطناعي، ينظر:
بيير جوردا، الرحلة إلى الشرق، رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر، تر. مي عبد الكريم وعلي بدر، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط. 1، 2000.

[44] فصّل المفكر إدوارد سعيد في مسألة الكليشيهات، أو الصور الخاطئة التي أخذها الغربيون عن الشرق وأهله في القرون الوسطى وما بعدها في كتابه "الاستشراق"، ينظر:
- إدوارد سعيد، الاستشراق، تر. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981.

[45] هو شجر من الفصيلة البطمية، يستخرج منه علك تجاري معروف، والخُرّوب شجر مثمر.

[46] Besset, A., Ibid, p. 114.